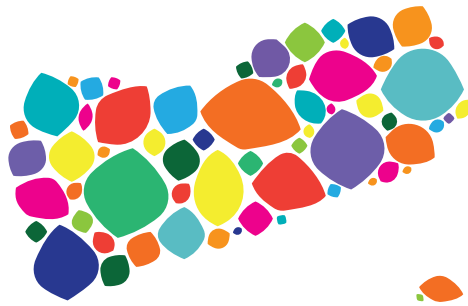




جسد بلا ساق في وطن بلا رأس

عبد الناصر أحمد عقلاقن





منتدى سلام اليمن
YEMEN PEACE FORUM

جسد بلا ساق في وطن بلا رأس

عبد الناصر أحمد عقلان

يناير 16, 2021

صورة الغلاف : انسحاب قوات المجلس الانتقالي الجنوبي باتجاه عدن من جبهة الشيخ سالم في 14 كانون الأول / ديسمبر كجزء من تنفيذ اتفاق الرياض لإعادة انتشار القوات المشتركة في أبين. // مركز صنعاء تصوير أحمد الشطيري

مبادرة منتدى سلام اليمن هي منبر مسار ثان للمجتمع المدني والشباب، ييسره مركز صنعاء بتمويل من وزارة الخارجية الهولندية في هولندا. تسعى هذه المبادرة التفاعلية إلى الاستثمار في بناء وتمكين الجيل القادم من الشباب والجهات الفاعلة في المجتمع المدني اليمني وإشراكهم في القضايا الوطنية الحرجة. بناءً على الهدف الأساسي لمركز صنعاء المتمثل في إنتاج المعرفة بالأصوات المحلية، تسعى هذه المبادرة إلى التطوير والاستثمار في محلي السياسات الشباب والكتاب من جميع أنحاء اليمن.



منتدى سلام اليمن
YEMEN PEACE FORUM



Kingdom of the Netherlands

بتمويل من

مركز صنعاء للدراسات الاستراتيجية هو مركز أبحاث مستقل يسعى إلى إحداث فارق عبر الإنتاج المعرفي، مع تركيز خاص على اليمن والإقليم المجاور. تغطي إصدارات وبرامج المركز، المتوفرة باللغتين العربية والإنجليزية، التطورات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والأمنية، بهدف التأثير على السياسات المحلية والإقليمية والدولية.



SANA'A
CENTER FOR STRATEGIC STUDIES
مركز صنعاء للدراسات الاستراتيجية

خمس ساعات. ثلاثمائة دقيقة. ثمانية عشر ألف ثانية. وبغمضة عين، تغيرت حياتي إلى الأبد. قبل أن أدخل إلى غرفة العمليات، كنت أمشي على ساقين، وبعد انتهاء الجراحة أصبحت مبتور الطرف.

أتذكر بدقة كل تفاصيل اللحظات الأخيرة لجسدي السليم. في 3 فبراير/شباط 2010، كنت ممدداً على نقالة المرضى خارج غرفة العمليات حيث سأخضع لعملية بتر ساقِي اليمني. لحظات لن أنساها أبداً: صوت عجلات النقالة، الأضواء الساطعة في الممر، الأبواب التي تُغلق خلفنا، صدى اسمي الذي يردده الممرضون المرتدون الكمامات. "هنا غرفة العمليات، يرجى عدم الدخول". هذا آخر ما قرأته كعبدالناصر ذو الجسد الكامل والقوي.

وما إن استيقظت، مددت يدي أتحمس ساقِي اليمني، كان عقلي يخدعني ويوهمني أن ساقِي لم تُبتر رغم أنني وقعت بنفسِي على الأوراق التي تمنح موافقتي على إجراء عملية البتر، وكنت أدرك جيداً أن ساقِي قد بُترت.

لطالما واجهت المصاعب بجسد قوي وعقل أقوى، ولم يخطر على بالي قط أنني قد أخسر طرفاً من جسدي في يوم من الأيام. قيل لي أن والدي كان سعيداً للغاية عند مولدي عام 1984، وكأني طفله الأول كما قال لي أحد أقاربي، رغم أن ترتيبي الثامن بين إخوتي. كان مبتهجاً أنه رُزق بطفل يمتلك ساقين، هل سيعرفني الآن؟

غادرت منزلي في الجبال الوسطى والخصبة في محافظة تعز، وذهبت إلى العاصمة صنعاء لأدرس التجارة والاقتصاد في جامعة المدينة. اجتزت أول عامين بتفوق، وخلال سنتي الثالثة، بدأت أعاني من أعراض مرضية، ففي صباح أحد الأيام عام 2008، أيقظني ألم في ركبتي اليمني. لم أفكر بالأمر كثيراً حينها ولكن الألم اشتد لدرجة أنني فقدت القدرة على المشي جيداً. نصحتني الأطباء بالذهاب إلى القاهرة، وفعلاً سافرت إلى مصر حيث قرر الأطباء ضرورة إجراء عملية لاستئصال الأجزاء الملتهبة من الأنسجة والالتزام بنظام غذائي معين.

أرعبني الأمر، خضعت لعملية استئصال الالتهاب وعدت إلى اليمن ظناً مني أن الأمور ستتحسن، ولكن بعد عام، انتابني نفس الألم الشديد في ركبتي اليمني، فسافرت إلى السعودية لتلقي العلاج، حيث تبين أنني مصاب بالسرطان.

لطالما تخيلت السرطان على أنه ورم يشبه خليط ما بين سرطان البحر والعقارب السامة، ولم أصدق أن كائناً كهذا يعيش داخل جسدي. أعدت الفحوصات مراراً، ومعها كنت أصلي على أن تكون النتائج الأولى خاطئة أو تعود لمريض آخر اختلط ملفه مع ملفي، ولكن كانت النتائج هي نفسها: مصاب بالسرطان.

بدأنا على الفور بالعلاج الكيميائي والعلاج الإشعاعي على أمل أن يُعالج الورم، وبعد ثلاث جلسات، تبين أنني لم استجب للعلاج ولا مفر من بتر ساقِي.

منحني الأطباء عشرة أيام للتفكير وأخذ القرار. كانت تلك أسوأ أيام حياتي، قبعت في غرفتي كمن ينتظر تنفيذ حكم الإعدام، وانهاالت أفضع الكوابيس التي أنهكت جسدي الذي بدأ يضعف يوماً تلو الآخر بعد أن نخر السرطان عظامي. كان عليّ أن اتخذ قراراً بأسرع وقت، وغرقت بالتفكير في الأمر لدرجة أنني لم أعد أعني ماذا يدور حولي، وكأني تحت تأثير المخدر. كان قراراً صعباً للغاية، ولكن لا مفر من هذا المصير.

أول شخص فكرت به بعد أن أخذت قراراً كان زوجتي في اليمن، هاتفتها لأخبرها أنني لن ألومها إذا أرادت تركي. لم تتركني، وحبها كان سندي لأقاوم الألم.

عدت إلى صنعاء بعد أن دفنت طرفي المبتور في بلد آخر. شعرت وكأنني غريب عن نفسي، رجل يُدفن جسده مجزأً، وبدل اشتياق الآخرين له، وجدت نفسي اشتاق إلى جزء مني، وكأنني أصبحت شخصين منفصلين.

عندما وصلت إلى مطار صنعاء، كنت بحاجة إلى مساعدة لأنزل من على الطائرة، وأدركت حينها ماذا يعني فعلاً أن تخسر أحد أطراف جسدك. لم يفارقني هذا القلق، فحين جاءت لي الممرضة بمولودي الأول لكي أراه عام 2013، كان أول ما فعلته -قبل حتى أن أتمعن في وجهه- هو التأكد من امتلاكه ساقين.

بعد إجراء عملية البتر بفترة وجيزة، زرت مركز الأطراف الصناعية والعلاج الطبيعي بالعاصمة صنعاء، حيث بوسع المرضى الحصول على أطراف صناعية وخدمات إعادة التأهيل، كنت آمل بأن أحسن قدرتي في المشي. وأنا هناك، شعرت بأنه لا بد من الغوص في المأساة لنسأها.

رأيت مئات المرضى، من بينهم أطفال، فقدوا أطرافهم بسبب الحرب والحوادث. تقلصت مأساتي أمام مأساة الطفل عبدالرحمن ذي الثمانية أعوام الذي فقد ساقيه إثر سقوطه في منحدر بينما كان يرعى أغنامه. أحضره والده إلى المركز في صنعاء من محافظة حجة، أحد أكثر مناطق اليمن فقراً، في أقصى شمال غربي البلاد. سأل عبدالرحمن والده إن كان بإمكانه العودة إلى المدرسة واللعب مع أصدقائه مجدداً، ساد الصمت في صالة الانتظار، وانهمرت دموعنا جميعاً.

حينها، كان تعداد سكان اليمن يبلغ 30 مليون نسمة، ولكن لا يوجد فيه سوى مركز واحد للأطراف الاصطناعية. عام 2017 وحده، زار المركز ما بين 200 و500 مريضاً يومياً. (فُتح مركزان آخران منذ ذلك الحين).

سُنّت عدة قوانين بهدف تسهيل حياة الأشخاص ذوي الإعاقة، أهمها قانون رقم (61) لسنة 1999، وأنشئ صندوق رسمي من المفترض أن يلبي احتياجات هؤلاء الأشخاص، مثل الكراسي المتحركة الكهربائية والأطراف الصناعية، كما من المفترض أن يعمل الصندوق على تأمين المنح الدراسية، ولكن، كغيره من القوانين، ظل هذا التشريع حبراً على ورق إذ لم يطبق بشكل كامل، وجاءت الحرب لتزيد الطين بلة، فالدولة عاجزة عن تأمين المتطلبات الأساسية، ناهيك عن تقديم الخدمات لذوي الإعاقة.

تنامت أعداد الأشخاص ذوي الإعاقة بسبب الحرب. أسفر القصف الجوي للتحالف بقيادة السعودية عام 2015 على جبل عطان وعام 2016 على الصالة الكبرى عن إصابة حوالي ألف شخص، بعضهم بُترت أطرافهم. شهد اليمن آلاف الهجمات الجوية خلال السنوات الماضية. لا نهاية لتلوح في الأفق، وكلما مر يوم جديد من الحرب، تزداد أعداد مبتوري الأطراف.

أنشأت منظمتي - منظمة هوب لذوي الأطراف المبتورة - كجهد صغير لتأمين الأطراف الاصطناعية والعلاج الفيزيائي لمبتوري الأطراف. كنت محظوظاً كوني تمكنت من تلقي العلاج الأولي خارج اليمن، والحصول على

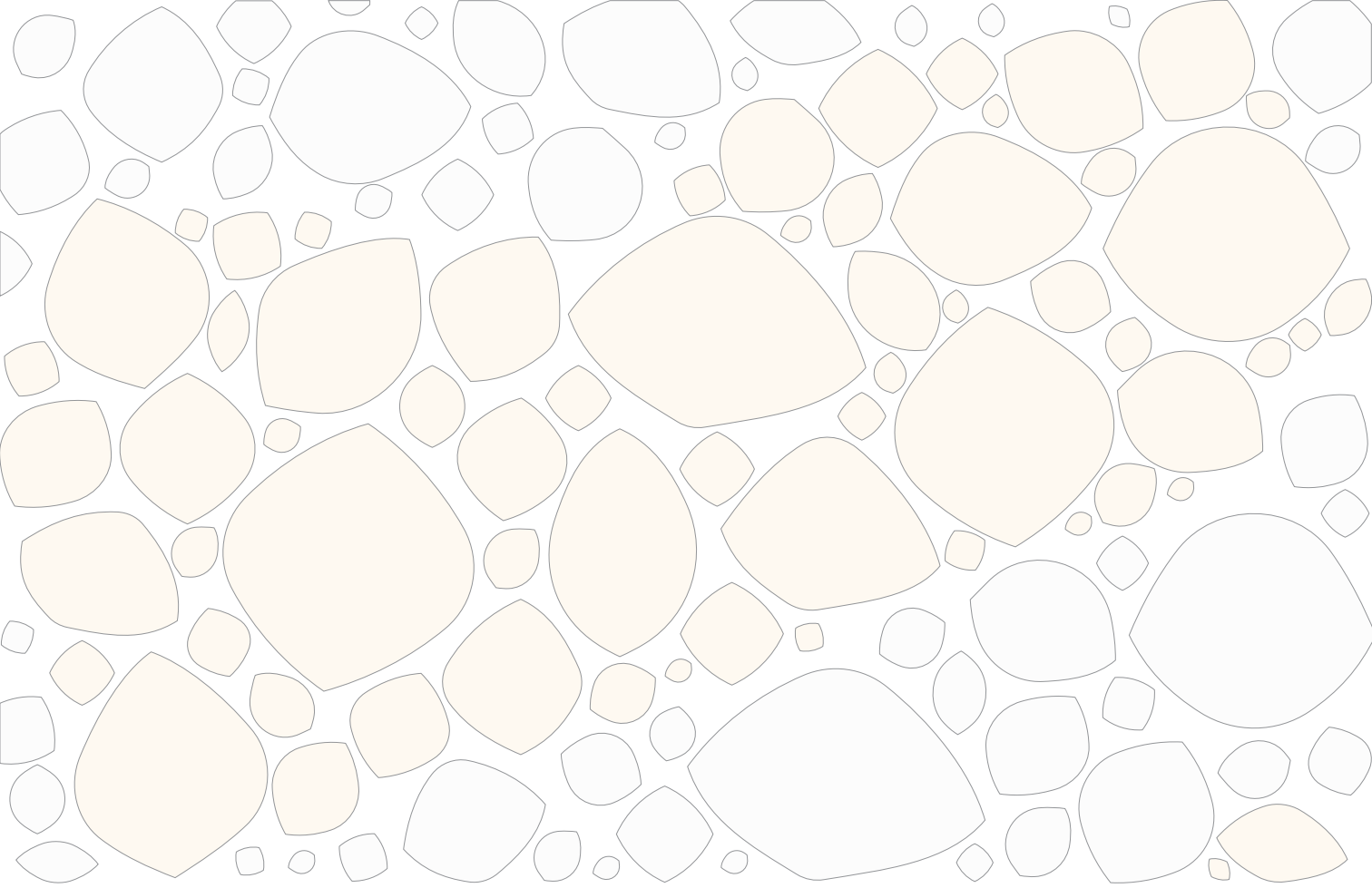
طرف صناعي يساعدني على المشي ولو لأمتار معدودة. الآن معظم عمل المنظمة توقف نتيجة الصعوبات بسبب الحرب وقلة فرص التمويل.

لم يسلم النظام الصحي في البلاد من الحرب إذ تدهور بشدة، فيما انخفضت قيمة العملة المحلية وانقطعت الرواتب. لا يستطيع الأشخاص المبتور أطرافهم تحمل تكاليف الأطراف الاصطناعية، وفي بعض الأحيان لا تتوفر حتى لمن يستطيع تحمل كلفتها، أما من يحظى بطرف اصطناعي أو كرسي متحرك، فإن حياته مليئة بالتحديات إذ لا يوجد مصاعد في معظم المباني، ولا ممرات آمنة أو منحدرات للكراسي المتحركة في الشوارع. الكثير من اليمينيين، من بينهم أنا، كانوا ينتقلون بسهولة في السيارات ولكن حتى هذا أصبح صعبًا نتيجة نقص الوقود، وفي بلد تمزقه الحرب، تتفاقم معاناة الأشخاص ذوي الإعاقة.

ليس بوسع أحد كسب لقمة عيشه. ارتفع عدد مبتوري الأطراف الذين يتسولون في الشوارع للحصول على الطعام، أنواع مختلفة من الناس في الواقع تتسول بحثًا عن الطعام أو المال أو المساعدة. هذا حالنا في اليمن، مبتورو الأطراف في وطن تنهشه الأطراف المتصارعة. وطن البتر فيه سيد الموقوف، ولكن من دون مخدر، فضلًا عن أننا لم نوافق على هذا البتر مسبقًا، ولكننا ما نزال على قيد الحياة. أنا ما زلت على قيد الحياة. لقد خسرت ساقى، ولكنني أصارع فقدان الأمل.

عن الكاتب

عبد الناصر عقلاقن هو مؤسس منظمة هوب لذوي الأطراف المبتورة. تخصص في المحاسبة في جامعة صنعاء، كما أكمل عدة دورات في التنمية البشرية والمناصرة. هو أيضًا أحد المشاركين في منتدى سلام اليمن، مبادرة لمركز صنعاء للدراسات الاستراتيجية تسعى إلى تمكين الجيل القادم من الشباب وناشطي المجتمع المدني اليمني وإشراكهم في القضايا الوطنية الحرجة.



مركز صنعاء للدراسات الاستراتيجية هو مركز أبحاث
مستقل يسعى إلى إحداث فارق عبر الإنتاج المعرفي،
مع تركيز خاص على اليمن والإقليم المجاور.

sanaacenter.org